المحاضرة الثانية (02): السرقات الأدبية

السرقات الأدبية في اللغة والاصطلاح:

سرق الشيء يسرقه: أخذه خفية؛ والسرقة: الأخذ خفية، ونجد في معجم الوسيط أن السرق هو (الأخذ من كلام الغير، وهو أخذ بعض المعنى أو بعض اللفظ سواءً أكان أخذ اللفظ بأسره أو المعنى بأسره.(

السرقات الشعرية هي : أن يعمد أديب لاحق فيأخذ من أدب أديب سابق بيتاً شعرياً، أو شطر بيت، أو نصا، أو فقرة، أو صورة فنية، أو معنى ما، شرط أن يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة.

مثال: قال بشار؛ (من راقب الناس لم يظفر بحاجته = وفاز بالطيبات الفاتك اللهج)، فأخذه تلميذه سلم الخاسر: (من راقب الناس مات غما=وفاز باللذة الجسور), قال بشار: «يعمد إلى معاني التي سهرت فيها ليلي، وأتعبت فيها فكري، فيكسوها لفظا أخف من لفظي، فيروى شعره ويترك شعري*

تاريخ قضية السرقات الأدبية:

وردت السرقات في الشعر الجاهلي، وكان الشعراء أول من نبه إلى ذلك، إما باعترافهم بأنهم يأخذون عمن سبقهم، وإما بنفي تهمة السرقة عن أشعارهم، فمن ذلك قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وكما قال امرؤ القيس:

عوجا على الطلل القديم لعلنا ... نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ونفى طرفة بن العبد عن نفسه سرقة أشعار غيره، فقال :

ولا أغيرُ على الأشعار أسرقُها ... عنها غنيتُ، وشرُّ الناس مَنْ سرقا

والشعراء يظنون أن كلامهم معاد ومكرور كما قال كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا معاداً ... أو معاراً من قولنا مكرورا

وهذا حسان بن ثابت ينفي عن نفسه الإغارة على شعر غيره حيث يقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا ... بل لا يوافق شعرهم شعري

ثم يعود الفرزدق فيرد على جرير ويتهمه بالسرقة منه فيقول :

إن استراقك يا جرير قصائدي ... مثل ادعاء سوى أبيك تنفل

وهذا ابن الرومي يرمي البحتري بالسرقة فيقول:

حتى يغير على الموتى فيسلبهم ... حرّ الكلام بجيش غير ذي لجب

السرقات الأدبية في العصر العباسي:

- السرقات الشعرية جميعها في العصر العباسي لم تكن في نطاق حركة نقدية مرتكزة على أحد أولئك الشعراء، ولكنها مجرد روايات مفردة يستدل بها النقاد على حدوث السرقات في العصر العباسي

- ولكن حين جاء أبو نواس وأحدث طرائق في الشعر، منها التخلي عن المدح والهجاء والرثاء ووصف الخمر والمجون، سلط عليه النقاد نقدهم، وانقسم فيه الناس بين مؤيد ومعارض؛ ومما كتب فيه كتاب سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت

- وكان أبو تمام والبختري مبعث حركة نقدية أخرى أكثر نشاطا، وكان طبيعيا أن يتهم الخصوم الشاعرين بالسرقة، ومن اشهر من كتب في سرقاتهما الآمدي في الموازنة بين شعري أبي تمام والبحتري

- والحركة الأضخم في موضوع السرقات أثيرت حول المتنبي، وأول المهاجمين له أبو القاسم إسماعيل بن عباد في كتابه: «الكشف عن مساوئ شعر المتنبي»، وألف أبو سعيد العميدي «الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى»، وأشهر من كتب في هذا الموضوع القاضي الجرجاني في كتابه: «الوساطة بين المتنبي وخصومه» وجاء ردا على مؤلف الصاحب بن عباد، وقد انتصر فيه للمتنبي

رأي النقاد القدامى في السرقات:

- قال الآمدي في الموازنة: السرق إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس، التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال: أخذه من غيره.

محاضرات في الأدب الجزائري القديم د. مسعود لشاش

- قال الجاحظ في كتاب الحيوان: ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تامّ، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلّا وكلّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه. أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قطّ، وقال إنّه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بال الأوّل. هذا إذا قرّعوه به.

- قال ابن رشيق المسيلي: والسرقة "باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه."

- وقال القاضي الجرجاني في الوساطة: "والسرق - أيدك الله - داء قديم، وعيب عتيق، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد.. وإن تجاوز ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ»

- وقال ابن طباطبا في عيار الشعر: وَلَا يُغير على مَعَاني الشُّعراءِ فيودِعُها شِعرَهُ، ويخرِجُها فِي أَوْزانٍ مخالفةٍ لأَوزانِ الأَشعارِ الَّتِي يَتَناولُ مِنْهَا مَا يَتَنَاولُ، ويَتوهَّمُ أَنَّ تَغْييرهُ للألفَاظ والأوزَانِ مِمَّا يَسْتُر سَرِقَتَهُ أَو يُوجِبُ لَهُ فَضِيلةً، بل يُديم النَّظَرَ فِي الْأَشْعَار الَّتِي قد اخترنَاهَا لتَلصَق مَعَانِيهَا بفَهْمِهِ، وتَرْسَخَ أُصُولها فِي قَلْبِهِ، وتَصِيرَ موادَّ لطَبْعِهِ، ويَذُوبَ لِسَانُهُ بألفاظِها فَإِذا جاشَ فِكرهُ بالشِّعرِ أَدَّى إِلَيْهِ نتائجَ مَا استفاده مِمَّا نَظَر فِيهِ من تِلْكَ الأَشْعار فكانَتْ تِلْكَ النَّتيجةُ كسبيكةٍ مُفْرَغةٍ من جَميعِ الأَصْنَافِ الَّتِي تُخْرِجُها المَعَادن»

مهمة الناقد في قضية السرقات:

يتناول الناقد العربي القديم قضية السرقة الشعرية تناولا ذوقيا جماليا، ويهتم بالبحث عن حسنها وقبحها، وخفائها ووضوحها، واستحسان المعنى المسروق أو استهجانه، ووصف الاخذ عن الآخذ، ومدى إعاقة السرقة للسارق عن الإبداع والابتكار.

أنواع السرقات الأدبية/ مسنياتها:

- النسخ: أخذ الكل من غير تغيير نظمه
- السلخ: أخذ المعنى دون اللفظ
- المسخ: إحالة المعنى إلى ما دونه
- الانتحال: أن يدعي الشاعر شعر غيره لنفسه
- الإغارة: أن يغير شاعر مشهور على شاعر مغمور، فيروى للمشهور دون المغمور
- الاصطحاف: وهو الإغارة على شعر الأموات، وهو مثل الإغارة على شعر الأحياء
- المرادفة: أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له
- الاهتدام: السرقة فيما دون البيت
- النظر والملاحظة: تساوي المعنيين دون أخذ الشكل
- الموازنة: أخذ بنية الكلام فقط

ومجمل القول: موافقة في اللفظ قد تتبعه موافقة في المعاني، موافقة في المعني الكثيرة، التي يرتبط بعضها ببعض، موافقة في اليسير من المعاني والألفاظ.

خاتمة واستنتاج:

- السرقة الأدبية في عصرنا نوعاً من أنواع الجنايات التي لا تقل أهمية عن سرقة الأموال، فالأول يسرق الأفكار والثاني يسرق الأرزاق. فنجد في المجتمعات الغربية أنّ السرقة الأدبية تعتبر سرقة، سواء أكانت للفكرة أو للنص. وتعتبر جريمة يعاقب عليها القانون. وقد تطال مشكلة السرقة الأدبية الناشر وحقوق المؤلف أيضاً. وحتى تصوير الكتب يعتبر في الدول المتحضرة سرقة.
- السرقة كيفما كانت لفظا وفعلا أمر مستكره منبوذ تعافه الأنفس الأبية
- السرقات الأدبية ظاهرة طبيعية في الفكر الإنساني، فشيوعها وتعقد أنواعها إنما يتبع ارتقاء الفكر الإنساني، - تعقده بارتقاء الحضارة الإنسانية واستشرت السرقة الأدبية في عصر الضعف حتى قال ابن تميم (ت: 684):

أطالع كل ديوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري

مدارس الأدب العربي القديم . مسعود بن سباع

- وفي عصرنا تسمت السرقات الأدبية بمصطلحات أقل حدة؛ منا: الاقتباس من القرآن والحديث؛ ومنها التضمين من الشعر، ومنها التناص وهو أشمل وأعم أصبح مفهوم (التناص) واضحا فهو حسب البلغارية كريستيفا (تداخل النصوص في النص الجديد أو التعالق النصي)- وهو يختلف عن السرقات الأدبية أو (التلاص) حسب مصطلح الشاعر والناقد الفلسطيني عزالدين المناصرة.

- إذا كانت قضية السرقات الأدبية مرتبطة بالنقد من حيث البداية والهدف، فإن بعض البلاغيين يرى أنها ترتبط بالبلاغة من حيث المضمون لأن فيها تحسينا للكلام

محاضرات في النقد الأدبي القديم - د. مسعود بن ساري